أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم بالعلويات أقسم بأشرفها وهو
السماء وشمسها وقمرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه وهو
الليالي العشر وإذا أراد سبحانه أن يقسم بغير ذلك أدرجه في العموم كقوله
فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقوله والذكر والأنثى في قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك الثامن أن اقتران القسم بالليل والصبح
في قسم واحد يدل على أنها النجوم ولهذا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان
والليل والصبح في قسم واحد وبهذا احتج أبو إسحق على أنها النجوم فقال
هذا أليق بذكر النجوم منه بذكر الوحش التاسع أنه لو أراد ذلك سبحانه
لبينه وذكر ما يدل عليه كما أنه لما أراد بالجواري السفن قال ومن آياته
الجوار في البحر كالأعلام وهنا ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل
على أنها البقر والظباء وفيه ما يدل على أنها النجوم من الوجوه التي ذكرناها
وغيرها العاشر أن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية
للسالكين ورجوم للشياطين وبين المقسم عليه وهو القرآن الذي هو
هدى للعالمين وزينة للقلوب ودا‌حض لشبهات الشياطين أعظم من
الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن والله أعلم

فصل واختلف في عسعسة الليل هل هي
إقباله أم إدباره فالأكثرون على أن عسعس بمعنى ولى وذهب وأدبر
هذا قول علي وابن عباس وأصحابه وقال الحسن أقبل بظلامه وهو إحدى
الروايتين عن مجاهد ومن رجح الإقبال قال أقسم الله سبحانه وتعالى بإقبال
الليل وإقبال النهار فقوله والصبح إذا تنفس مقابل لليل إذا عسعس
قالوا وهذا أقسم الله بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وبالضحى والليل
فغشيان الليل نظير عسعسته وتجلي النهار نظير تنفس الصبح إذ هو مبدؤه

وأوله

بلغ

وأوله ومن رجح أنه إدباره احتج بقوله تعالى كلا والقمر والليل إذ أدبر
والصبح إذا أسفر فأقسم بإدبار الليل وإسفار الصبح وذلك نظير عسعسة الليل
وتنفس الصبح قالوا والأحسن أن يكون القسم بانصرام الليل وإقبال النهار
فإنه عقيبه من غير فصل وهذا أعظم في الدلالة والعبرة بخلاف إقبال الليل
وإقبال النهار فإنه لم يعرف القسم في القرآن بهما ولأن بينهما زمن طويل
فالآية في انصرام هذا ومجيء الآخر عقيبه بغير فصل أبلغ فذكر سبحانه
حالة ضعف هذا وإدباره وحالة قوة هذا وتنفسه وإقباله يطرد
ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه وهذا
هو القول والله أعلم فصل ثم ذكر سبحانه
المقسم عليه وهو القرآن فأخبر أنه قول رسول كريم وهو ههنا جبريل
قطعا لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يعينه به وأما الرسول الكريم في الحاقة
فهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نفى بعده أن يكون قول من زعم أعداؤه أنه قوله
فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما
تذكرون فأضافه إلى الرسول الملكي تارة وإلى البشري تارة وإضافته
إلى كل واحد من الرسولين إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء من عنده ولهذا
تضمنت النسبتان ولفظ الرسول يدل على ذلك فإن الرسول هو الذي يبلغ
كلام من أرسله وهذا صريح في أنه كلام من أرسل جبريل ومحمدا صلى الله
عليه وسلم وأن كلا منهما بلغه عن الله فهو قوله مبلغا وقول الله الذي تكلم
به حقا فلا راحة لمن أنكر أن يكون الله متكلما بالقرآن وهو كلامه حقا
في هاتين الآيتين بل هما من أظهر الأدلة على كونه كلام الرب تعالى وأنه
ليس للرسولين الكريمين منه إلا التبليغ فجبريل سمعه من الله ومحمد
صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل فوصف رسوله الملكي في هذه السورة

Copyright © King Saud University